التاريخ: 01. 02. 2019

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ.

اَلرِّفْقُ: يُحِبُّ اللهُ اَلْأَنَاقَةَ فِى كُلِّ شَىْءٍ

أَيُّهَا اَلْمُسْلِمُونَ اَلْمُحْتَرَمُونَ!

قَرَأْتُ فِى مَطْلَعِ خُطْبَتِى اَلْآيَةُ اَلْكَرِيمَةَ **"وَلاَ تَسْتَوِى اَلْحَسَنَةُ وَلاَ اَلسَّيِّئَةُ اِدْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذاَ اَلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداَوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ"** [1].

كَماَ قَرَأْتُ أَيْضًا حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَنْ يُحْرَمْ اَلرِّفْقَ يُحْرَمْ اَلْخَيْرَ كُلَّهُ"** [2].

أَعِزَّائِى اَلْمُؤْمِنِينَ!

تَمَّ تَأْسِيسُ دِينِنَا اَلْأَسْمَى عَلَى اَلْإِيمَانِ وَاَلْعِبَادَةِ وَاَلْأَخْلَاقِ اَلْحَمِيدَةِ. وَمِنْ اَلْأَخْلَاقِ اَلْحَمِيدَةِ اَلَّتِى تَمْنَحُ اَلْإِنْسَانَ اَلْقِيمَةَ تِجَاهَ اللهِ تَعَالَى وَتَجْعَلُهُ مَحْبُوبًا فِى اَلْمُجْتَمَعِ هِى اَلرِّفْقُ وَاَلْوَجْهُ اَلضَّحُوكُ وَاَلْكَلِمَةُ اَلطَّيِّبَةُ وَاَلسَّكِينَةُ هِىَ عَدَمُ اَلتَّصَرُّفِ بِغَلَاظَةٍ وَعَدَمُ كَسْرِ اَلْأَفْئِدَةِ وَاَلسَّعْيِ لِإِمْسَاكِ اَلنَّفْسِ عِنْدَ اَلْغَضَبِ وَاَلتَّحَلِّى بِالصَّبْرِ وَبُرُودَةِ اَلْأَعْصَابِ.

أَيُّهَا اَلْمُسْلِمُونَ اَلْأَفَاضِلُ!

يُحِبُّ اللهُ تَعَالَى اَلْمُعَامَلَةَ بِالرِّفْقِ فِى جَمِيعِ اَلْأَعْمَالِ [3].فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِى كِتَابِهِ اَلْكَرِيمِ مُخَاطِبًا اَلنَّبِىَّ اَلْأَعْظَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **"خُذْ اَلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ اَلْجَاهِلِينَ"** [4] دَاعِيًا إِيَّاهُ إِلَى اَلْعَفْوِ وَالتَّسَامُحِ. وَفِى آيَةٍ أُخْرَى ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ **"اَلْكَاظِمِينَ لِلْغَيْظِ وَاَلْعَافِينَ"** [5] هُمْ مِنْ بَيْنِ اَلْمُبَشَّرِينَ بِمَغْفِرَةِ اللهِ تَعَالَى وَاَلْجَنَّةِ.

أَيُّهَا اَلْمُؤْمِنُونَ اَلْمُحْتَرَمُونَ!

كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَلْمَثَلَ اَلْأَعْلَى لِلتَّصَرُّفِ بِهُدُوءٍ. فَلَمْ تَقْتَصِرْ تَصَرُّفَاتُهُ عَلَى اَلْبَشَرِيَّةِ فَحَسْبُ بَلْ كَانَ يَتَصَرَّفُ بِشَفْقَةٍ وَرَحْمَةِ تِجَاهَ جَمِيعِ اَلْمَخْلُوقَاتِ. وَكَانَ مُيَسِّرًا فِى جَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَلَمْ يَكُنْ مُعَسِّرًا وَكَانَ يَتَجَنَّبُ مَضَايَقَةَ مَنْ كَانَ حَوْلَهُ. وَلَمْ يَكُنْ يَسْعَى لِمُعَاقَبَةِ مَنْ يُخْطِئُ وَإِنَّماَ كَانَ يُفَضِّلُ اَلْعَفْوَ عَنْهُ. وَكَانَ يَعْتَمِدُ فِى تَصَرُّفَاتِهِ عَلَى تَقْدِيمِ اَلنَّصَائِحِ اَلَّتِى تَتَبَنَّى عَدَمَ سَحْقِ مَشَاعِرِ اَلنَّاسِ وَاَلْحُبِّ وَاَلْاحْتِرَامِ. وَقَدْ سَاهَمَتْ هَذِهِ اَلْمُمَيِّزَاتُ اَلَّتِى أَنْعَمَهَا اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِجَمِعِ اَلْمُسْلِمِينَ حَوْلَهُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى فِى كِتَابِهِ اَلْكَرِيمِ: **"فَبِماَ رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ اَلْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ..."** [6].

أعِزَّائِى اَلْمُؤْمِنِينَا!

اَلْمُؤْمِنُ اَلَّذِى يَتَّخِذُ أخْلاَقَ اَلنَّبِيّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثَالاً لَهُ كَانَ اَلرِّفْقُ أسَاسَ كُلِّ أعْمالِهِ. وَلاَ يَتَخَلَّى عَنْ اَلشَّفْقَةِ وَالرَّحْمَةِ تِجاهَ كُلِّ مَخْلُوقٍ نُفِخَتْ فِيهِ اَلرُّوحُ. وَيُمَثِّلُ جَمِيعَ اَلْقِيَمِ اَلإِسْلاَمِيَّةِ اَلسَّامِيَةِ بِتَصَرُّفَاتِهِ وَحَالِهِ وَأخْلاَقِهِ. فَالْمُؤْمِنُ يَبْتَعِدُ عَنْ اَلتَّطَرُّفِ وَاَلْقَبَاحَةِ وَاَلعُنْفِ. فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لَيْسَ اَلْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اَلَّلعّانِ وَلَا اَلْفَاحِشِ وَلَا اَلْبَذِىءِ"** [7].

أعِزَّائِى اَلْمُؤْمِنِينَا!

نَعِيشُ فِى وَقْتِنَا اَلْحَالَيِّ فِى فَتْرَةٍ تُهْمَلُّ فِيهَا اَلْمَسْؤُولِيَّةُ اَلْمُتَعَلِّقَةُ بِالإِنْسَانِيَّةِ كَمَا تُهْمِلُ فِيهَا اَلْقِيَمُ اَلَّتِى تَلِيقُ بِالإِنْسَانِيَّةِ وَيُهَدِّدُ فِيهاَ اَلْعُنْفُ اَلإِنْسَانِيَّةَ بِغَضِّ اَلنَّظَرِ عَنْ اَلْمَكَانِ وَاَلدِّينِ وَاَللُّغَةِ وَاَلأَصْلِ وَاَلْفَصْلِ. وَيَتَوَجَّبُ عَلَيْناَ فِى هَذَا اَلْعَصْرِ أنْ نُدْرِكَ انَّ أيِّ شَىْءٍ يَسْتَمِدُّ قُوَّتَهُ مِنْ اَلْعُنْفِ لَيْسَ مِنْ اَلإِسْلاَمِ وَلَيْسَ مِنْ اَلإِنْسَانِيَّةِ وَلَيْسَ مِنْ اَلأَخْلاَقِ. فَمِنْ اَلْوَاجِبِ عَلَيْنَا إبْعَادُ كُلِّ اَلتَّصَرُّفَاتِ اَلْمُشِينَةِ اَلَّتِى تُهِينُ شَرَفَ اَلإِنْسَانِ وَأخْلاَقَهُ مِنْ حَيَاتِناَ. وَيُجِبُ عَلَيْناَ اَلتَّصَرُّفُ بِرِفْقٍ وَشَفْقَةٍ وَوَجْهٍ ضَحُوكٍ تِجَاهَ أُمَّهَاتِناَ وَآبَائِناَ وَأزْوَاجِناَ وَأطْفَالِناَ وَأقَارِبِنَا وَجِيرَانِناَ. فَالصَّبْرُ عِنْدَ اَلْغَضَبِ وَإنْ كُنَّا عَلَى حَقٍّ وَقُوَّةٍ مُهِمٌّ لِلْغَايَةِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى حَدِيثِهِ اَلْكَرِيمِ: **"لَيْسَ اَلشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إنَّماَ اَلشَّدِيدُ اَلَّذِى يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ اَلْغَضَبِ"** [8]. لَكِنْ لَا بُدَّ لَنَا إدْرَاكُ أهَمِّيَّةِ اَلتَّصَرُّفَاتِ اَلَّتِى تَبْدُرُ مِنَّا تِجَاهَ اَلْهَجَمَاتِ اَلَّتِى تَسْتَهْدِفُ قِيَمَناَ اَلْوَطَنِيَّةَ وَاَلْمَعْنَوِيَّةَ هِىَ إشَارَةٌ عَلَى اَلتَّصَرُّفِ اَلأَخْلاَقِيِّ وَاَلشُّعُورُ بِالإِيمانِ وَهِىَ عَلاَمَةُ حُبِّ اَلْوَطَنِ.

أعِزَّائِى اَلْمُسْلِمُينَا!

فَمَنْ كَانَ يَمْتَلِكُ اَلرِّفْقَ سَيَتَسَلَّحُ بِالرَّحْمَةِ، وَمَنْ يَتَسَلَّحُ بِالرَّحْمَةِ يَنَالُ رَحْمَةَ اللهِ تَعَالَى. وَمَنْ يَتْرُكُ اَلرِّفْقَ يَتَّجِهُ إلَى اَلْعُنْفِ وَاَلْعُنْفُ هُوَ اَلنَّدَمُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ. لِذَلِكَ دَعُونَا لَا نَسْمَحَ لِلْعُنْفِ أنْ يَأسِرَ عُقُولَناَ وَضَمِيرِناَ وَيَعِيقَ وُصُولَنَا إلَى اَلنَّجَاةِ. فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى حَدِيثِهِ: **"إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ اَلرِّفْقَ وَيُعْطِى عَلَى اَلرِّفْقِ مَا لَايُعْطِى عَلَى اَلْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِى عَلَى مَا سِوَاهُ"** [9].

---

[1] فصلت، 34/41

[2] أبو داؤود، الأدب، 11

[3] البخارى، الأدب، 35

[4] الأعراف، 199/7

[5] آل عمران، 134/3

[6] آل عمران، 159/3

[7] الترمذى، البر، 48

[8] مسلم، البر، 107

[9] مسلم، البر، 77، أبو داؤود، الأدب، 11